المقدمة..

يقول رسول الله ﷺ : الحكمة ضالة المؤمن.. أنىّ وجدها فهو أحق الناس بها.

وكلمة " أنىّ " تحتمل أي مصدرٍ تأتى الحكمة من خلاله.. المهم أن تكون صادقة فى معناها.. ينطبق عليها المعنى اللفظي.. والجوهري للكلمة..

وقالوا قديماً " رب كلمة حقٍ أريد بها باطل ".. لكنها تبقى كلمة حقٍ.. والحق أحق أن يتبع.

كما قالوا أيضاً " خذوا الحكمة من أفواه المجانين ".. أي أن فاقد العقل قد ينطق بالحكمة أحياناً.

فهل ينطق الشيطان بالحكمة.. هل ينطق بالموعظة؟

هل نستطيع أن نأخذ الحكمة من " أفواه الشياطين "؟.

للوهلة الأولى قد يتبادر للبعض أننا بذلك نقترب من منطقة المحظور بل والمرفوض من العقل البشرى.. لكن سنفاجأ بأن كتب السيرة والتاريخ تحكى لنا فى كثيرٍ من فصولها رواياتٍ عدة وردت عن " إبليس " وأتباعه.. كان فيها من مآخذ الحكمة الكثير.. ينطقون بها.. ولكن عند الاضطرار.. وليس الاختيار.. مثل قصة أبى هريرة مع أحدهم والتى يحكيها الحديث التالي:

- فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ

obeikandl.com

رَمَضَانَ.. فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأرفعنك إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ..

قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ.. فَخَلَّيْتُ عَنْهُ..

فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ.. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ.. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ.. فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأرفعنك إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ..

قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ..

فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.. قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ.. فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأرفعنك إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثلاث مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ..

قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا..

قُلْتُ: مَا هي؟

قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتَّى تَخْتِمَ الآية فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.. فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟..

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ..

قَالَ: مَا هِيَ؟..

قُلْتُ:

قَالَ لِي إِذاً أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآية وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثلاث لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَلتَ لا.. قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ " [1].

* * *

فجاءت الحكمة من إقرار أحد أتباع إبليس بقوة آية الكرسي على صرف الشياطين عن بنى آدم.. وجاء وصف رسول الله للشيطان بأنه " الكذوب الذي يصدق أحياناً ".. ليضع الإجابة عن السؤال الذي نطرحه وهو إمكانية أن ينطق الشيطان بالحق.. فلاشك أن وصف الشيطان بهذا الوصف البليغ والدقيق من قِبلْ الرسول ﷺ الذى.. أُوتى جَوامع الكلم.. وأفعاله وأقواله " وحى يوحى ".. وليست من قبيل هواه الشخصي.. تضع أقدامنا على طريق الفهم الصحيح لمنطوق كلمات إبليس وتابعيه.. وتحصر مساحة ما يهمنا من أقواله في الإستفادة منها متى تحقق ذلك.

* * *

(١) رواه البخاري فى الوكالة (٢٣١١) وفى بدء الخلق (٣٢٧٥).

obeikandl.com

وكما قلنا فإن كتب السيرة عامرة بالعديد من المواقف التي جمعت بين إبليس وأنبياء الله.. وأولياءه.. وصحابة الأنبياء وحوارييهم.

فمعظم الأنبياء كان لهم شأن ما مع " إبليس " بدءاً من سيدنا آدم أبى البشر.. وانتهاءاً بسيدنا محمد ﷺ.. ومروراً بمعظم الأنبياء والرسل.. وكل موقف دار فيه سجالٌ ما بين النبي.. وإبليس.. كان وكأنه مناظرة.. تتم بوحي من الله لنبيه.. وصدقٍ من إبليس لا خيار له فيه.. مجبرٌ عليه من رب العزة عز وجل.. مثلما قال لرسول الله في الحديث الشهير الذي رواه معاذ بن جبل والذي سيلي ذكره في هذا الكتاب.

.. فهيا نبحث عن الحكمة والموعظة فى أقوال " أبى مرة ".. وأتباعه.

عصام عبد الفتاح

* * * * *

obeikandl.com